

التفسير المطول - سورة العنكبوت 029 - الدرس 09-16: تفسير الآية: 27-
35، قصة سيدنا لوطٍ.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ : 30-11-1990

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين،
اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما
علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه، واجعلنا
من يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

مكافأة الله للمؤمنين يوم القيمة:

أيها الإخوة المؤمنون؛ مع الدرس التاسع من سورة العنكبوت.
وصلنا في الدرس الماضي إلى قصة سيدنا لوطٍ عليه وعلى نبيّنا أفضل الصلاة
والسلام، ولكن نريد أن نقف وقفه يسيرة عند آخر آية في قصة سيدنا إبراهيم، حينما قال الله
عزٌّ وجلٌ: «وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي دُرْرِيَتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَأَتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا
وَإِلَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ» يستفاد من قوله تعالى: «وَأَتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا» أن المؤمن
إذا آمن بالله عزٌّ وجلٌ، واستقام على أمره، وعمل صالحاً، لابد من أن يكافئه في الدنيا أيضاً،
أما أن يكون المؤمن في الدنيا كغير المؤمن، أن يعامل المؤمن كالكافر، المستقيم كالمنحرف،
المحسن كالمسيء فهذا مستحيل، مستحيل أن تكون مؤمناً ويتخلّى الله عنك، مستحيل أن تكون
حياتك، وعلاقاتك، ومهنتك، وزواجك، وبيتك، أن تكون كغيرك من الناس، لابد من أن ثبتلى،
ولكنه في نهاية المطاف لابد من أن تكرّم، لابد من أن تتّال كرامة الله عزٌّ وجلٌ إذا كنت وفق
ما أراد، لأن الله سبحانه وتعالى يقول:

أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ تَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ
وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (21)

سورة الجاثية

شيءٌ مستحيل.

أَفَجَعَ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (35) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (36)

سورة القلم

أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوْنَ (18)

سورة السجدة

أَفَمَنْ وَعَدْنَا وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعَنَاهُ مَتَّاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ (61)

سورة القصص

لذلك:

وَلَا تَهْوِوا وَلَا تَحْرِبُوا وَإِنْ أَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (139)

سورة آل عمران

كأن الله سبحانه وتعالي يحب من المؤمن أن ترتفع معنوياته، يحب من المؤمن أن يكون واثقاً بعطاء الله عز وجل، يحب من المؤمن أن يشعر أن له عند الله منزلة، أن له عند الله مكانة، أما هذا الذي يرى نفسه كغيره من غير المؤمنين، من العصاة، من الصائعين، من الشاردين، وأنه ينتظر بلاء الله عز وجل، لابد من أن ثمتحن، لابد من أن تبتلى، ولكن لابد من أن تستقر أحوالك على الإكرام الإلهي، لأن الله سبحانه وتعالي هذا وعده، هكذا وعد الله المؤمنين، قال تعالى:

مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَأُحْيِنَهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (97)

سورة النحل

والذي يتلألأ الصدر كما يقولون إن المؤمنين ارتبطهم بدينهم أكبر بكثير من مستوى قناعتهم، لأنهم حينما آمنوا بالله، وحينما اصطلحوا مع الله، وحينما تابوا توبة نصوحاً، وحينما عملوا الصالحات بدلاً الله حياتهم، جعلها حياة طيبة كما وعدهم، جعل نفوسهم طيبة، حياتهم طيبة، جعل قلوبهم مطمئنة، جعلهم يشعرون بأنهم عند الله من المقربين.

إذاً تعليقاً على قوله تعالى: **(وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمَنْ الصَّالِحِينَ)** قياساً على تلك القصة المؤمن إذا آمن بالله، واصطلح معه، واستقام على أمره، لابد من أن ينتظر الخير.. **(فُلْنَ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا)** من خير.

فُلْنَ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلَيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (51)

سورة التوبة

الفرق بين الأجر والأجرة والجزاء :

الآن ننتقل إلى قصّةٍ ثانية، وهي قصّة سيدنا لوطن عليه وعلى نبّينا أفضل الصلاة والسلام.

لا تنسوا أن كلمة الأجر تختلف عن الأُجْرَ، الأُجْرَ في الدنيا، أما الأجر فيشمل الدنيا والآخرة.

ولا تنسوا أن كلمة الأجر تفترق عن الجزاء، فالأجر للخير، والجزاء للخير والشر، الأجر شيء، والأجرة شيء آخر، الأجرة في الدنيا، أما الأجر ففي الدنيا والآخرة، والأجر غالباً هو العطاء الإلهي الذي يكون تعويضاً عن عبادة الإنسان لله عزّ وجل العبادة الحقة، وأما الجزاء فالجزاء يشمل العقاب والإكرام، أما الأجر فيختلف عن الجزاء في أنه للإكرام فقط.

شيوخ الفاحشة في قوم لوطن:

﴿وَلُوطًا﴾ أي وأرسلنا لوطن.. ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْثُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقُكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾.. ما الفاحشة؟ الفاحشة العمل القبيح أو القول القبيح، أي عِظُمُ القبح في القول والعمل هذه فاحشة، والحياة الدنيا طافحة بالفواحش، الخيانة الزوجية فاحشة، الزنا فاحشة، تضييع العقل في شرب الخمر فاحشة، فعِظُمُ القبح، القبح الشديد في الأقوال والأفعال تسمى فواحش، سيدنا لوطن قال لقومه: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْثُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقُكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾.. فهناك إشارة إلى أن هذه الفاحشة إنما فعلها قوم لوطن أول الناس، لم يُسبِّقُوا إليها، وبعض المفسرين قال: إنها شاعت في قوم لوطن شيوعاً لم يكن من قبل، إما أنها شاعت شيئاً لم يكن من قبل، أو إنها كانت أول ما وقعت من قوم لوطن.

الحسن ما حسنه الشرع والقبيح ما قبحه الشرع:

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْثُونَ الْفَاحِشَةَ﴾.. الفاحشة العمل القبيح، العمل القبيح الذي قَبَحَهُ الشرع، وقبَحَهُ العقل، والشرع دائماً متافق مع العقل، العقل مقياس أودعه الله فينا، والشرع ميزان أنزله الله على أنبيائه، فالذي قَبَحَهُ الشرع يقِّحه العقل، والذي قَبَحَهُ العقل يقِّحه الشرع؛ ولكن إذا قَبَحَ الشرع شيئاً، والعقل لم يقِّحه فالعقل قد ضل، الأصل هو الشرع، إذا قَبَحَ الشرع شيئاً فالعقل إذا قَبَحَه كان سليماً، وإذا لم يقِّحه كان مُنحرفاً، فالأسأل هو الشرع، أي القبيح ما قَبَحَه الشرع، والحسن ما حسنه الشرع، فربنا عزّ وجل مع أنه أعطانا ميزان العقل، إلا أن هذا الميزان ضُيِّطَ على ميزان الشرع، وكل إنسان مؤمن عليه أن يضبط

تصوّراته، مفهوماته، موازينه، مقاييس الفوز عنده على ميزان الشرع، وإلا ما الضلال المبين؟ أن يكون لك مقاييس غير مقاييس الشرع، أن يُحَسِّن عقلك شيئاً قبّه الشرع، وأن يُقْبَح عقلك شيئاً حسنه الشرع هذا هو الضلال، من هنا قيل: "اللهم أرنا الحقَّ حَقًّا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه".

خطورة إعمال العقل وترك النقل:

الدليل الآخر؛ هناك أشياء كثيرة لو عُرِضت على العقل البشري قبل سنواتٍ عدّة لكيُكذبها، الآن العقل يصدقها، إذاً هو قاصر، ما كان يكذبه في الأمس يصدقه اليوم، إذاً هو مقاييس، ولكنَّه يُستعمل في الحدود التي وضع لها، وفي حدود المعطيات التي بين يديه، فلذلك الأصل هو الشرع، كما نقول دائمًا: الدين نقل، والعقل لفهم النقل، وإذا تعارض النقل مع العقل، واستحال التأويل فالنقل هو الأصل، ولا بدًّ من أن يكتشف العقل بعد حين صواب النقل، لأنَّ النقل عن الله عزَّ وجلَّ، والله سبحانه وتعالى قرآنٌ وكلامٌ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وأنت إذا وجدت النقل، ولم تفهم حكمته فعليك أن تأخذ به بكلتا يديك، لأنَّ العقل فيما بعد سيكتشف حكمته، والبشرية الآن تعاني لأنها أخذت بعقلها فقط، من هم الغربيون؟ أناس حكّموا العقل في كل شيء، إلى أن فسدت حياتهم، حقّقوا إنجازاتٍ حضارية كما يقولون في الآلات، والأجهزة، وغزوا الفضاء؛ ولكن في علاقاتهم الاجتماعية، وعلاقاتهم الأسرية لأنهم حكّموا العقل، وألقوا بالشرع في عرض الطريق وراء ظهورهم، فجاءت حياتهم جحيمًا لا يطاق.

قلت في الخطبة اليوم: إنَّ ربع مليون مصابون بمرض الإيدز، وقد نَكَرْني أخٌ كريم أن هذا الرقم هو الذي أبلغ عنه فقط، أما الحالات التي لم يُبلغ عنها حالاتٌ كثيرةً جدًا، وإنَّ عشرة ملايين إنسان يحملون هذا المرض، وهذا مرض مخيف مدمّر، من أين جاء هذا المرض؟ من انحراف الإنسان عن منهج الله عزَّ وجلَّ، إذاً منهج الله هو الأصل، فإذا تعارض العقل مع النقل فالنقل هو الأصل، والعقل بعد حين يفهم حكمة النقل.

لذلك ينبغي للمؤمن أن يستسلم لله عزَّ وجلَّ إذا رأى الكون، وما فيه من آياتٍ باهرات، ورأى الشرع، وما فيه من إعجاز، ورأى القرآن وما فيه من إعجاز، ورأى أفعال النبي عليه الصلاة والسلام الدالة على نبوته يجب أن يستسلم، حينما تصل بعقلك إلى الله عزَّ وجلَّ، وبعقلك إلى إعجاز هذا الكتاب، إذا جاءك في هذا الكتاب شيءٌ لم تَتَّضح لك حكمته يجب أن

تستسلم له، لأنك بعد أن آمنت بالله بعقولك، وبرسوله بعقولك، وبكتابه بعقولك، لابد من أن تستسلم، وأن تنتظر أن الله عز وجل يكشف لك بعد حين عن حكمة هذا الأمر.

الأمر التشريعي والأمر التكويني:

دائماً يجب أن يتضح لديكم أن حجم المؤمن، وأن عبودية المؤمن، وأن مستوى المؤمن ليس في البحث عن الحكمة، وتعليق تنفيذ الأمر على معرفة الحكمة:
وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ صَلَالًا مُبِينًا (36)

سورة الأحزاب

ولاسيما أنه يوجد عندنا أمران: هناك أمر الله التشريعي، وأمر الله التكويني، أي إذا

قال الله لك:

فُلْنَ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغْصُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (30)

سورة النور

هذا أمر تشريعي، أن تقول: هذا الشيء لا يطبق في هذا الزمان، وأننا طاهرٌ عفيف لا أتأثر بالنظر، فهذا كلام فارغ، معنى ذلك أنك تأتي بحكم آخر، وإذا قضى الله شيئاً جعل هذا الإنسان عقيماً، جعل له ذريّة من البنات فقط هذا أمر تكويني، يجب أيضاً أن تستسلم.

الله عز وجل فطر الإنسان فطرة معينة:

«وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْثُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقُكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ أَنِّكُمْ لَتَأْثُونَ الرِّجَالَ.. هنا يوجد نقطة دقيقة جداً، أن ربنا عز وجل فطرنا فطرة معينة، قال تعالى:

رُّبِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْفَنَاطِيرِ الْمُقْنَطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدُهُ حُسْنُ الْمَأْبِ (14)

سورة آل عمران

فكل رجل أودع الله فيه حب المرأة.. شيء جميل.. لكن الله عز وجل جعل لهذه الشهوة قناةً نظيفةً طاهرة نقيةً، إنها قناة الزواج، ما من شهوة أودعها الله في الإنسان إلا وجعل لها طريقاً نظيفاً للسير فيه.

لأخذ على ذلك موضوع النساء؛ بعد أن أودع الله في الإنسان حب النساء سمح له بالزواج، فالزواج قناة نظيفة مشروعة طاهرة نقية بناءً، وإذا زنا الإنسان خرج عن أمر الله عز وجل، خرج عن شرعيه، خرج عن منهجه، خرج عن تعليمات الصانع، فيدفع الثمن باهظاً، ولكن فعل قوم لوط شيء آخر، حتى لو زنا الإنسان فهذا الزنا فاحشة، وله مضاعفات، فيه اختلاط أنساب، فيه خيانات، فيه مشكلات كثيرة جداً، لهذا حرمته الله عز وجل، بل إن الله عز وجل أبلغ من أن يحرمه فقال:

وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَيْهَا أَخْرَ وَلَا يُقْتَلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَرْتَبُونَ وَمَنْ يَفْعُلْ ذَلِكَ يُلْقِي أَثَاماً (68)

سورة الفرقان

نفي عن المؤمنين أنهم يزنون، والنفي أبلغ من النهي عند علماء الأصول..**﴿وَلَا يَرْتَبُونَ﴾** وهناك نهي عن الزنا، وعن مقدمات الزنا، وعن الاختلاط، وعن كل ما أدى إلى الزنا، لقوله تعالى:

وَلَا تَقْرِبُوا الزِّنَةِ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا (32)

سورة الإسراء

مراحل الإنسان في التعامل مع الغير؛ الإدراك والانفعال والسلوك:

هذه نقطة مهمة جداً أتمنى عليكم أن تكون واضحة عندكم؛ الإنسان في تعامله مع من حوله، مع المحيط الذي يحيط به في ثلاثة مراحل؛ الإدراك، والانفعال، والسلوك. مثلاً لو أن إنساناً رأى في بستان حية، بحكم معلوماته ومفهوماته التي درسها في المدارس، أو ملاحظاته في بعض المتاحف الزراعية، أو قراءاته، أو تجاربه السابقة، أو القصص يدرك أن هذه أفعى، حصل إدراك، إذا كان الإدراك صحيحاً لابد من انفعال، ما الانفعال؟ أن يضطرب، وإذا كان الانفعال صحيحاً لابد من سلوك، إما أن يهرب منها، وإما أن يقتلها، جئت بهذا المثل لأنه ما من علاقة مع المحيط الخارجي إلا وينتظمها هذا القانون، إدراك فانفعال فسلوك، أنت يمكن أن ترى وردة جميلة، تدرك أنها جميلة، وتتفاعل بجمالها، وتقول: سبحان الله! ما أجملها! إلى هنا لست مؤاخذاً على شيء، لو نظرت إلى وردة، إلى شجرة، إلى بيت، إلى حديقة، إلى بحر، إلى شيء جميل أودع الله فيه شيئاً من جماله، إنك إن

أدركت، وإن انفعلت فلا شيء عليك، إلا في موضوع المرأة، الوردة لو قطعتها ثحاسب، لو أخذتها من غير حق ثحاسب، لكن موضوع المرأة موضوع آخر؛ محرم أن تنظر، ومحرم أن تنفعل، ومحرم أن تخطو، لأن الله عز وجل هكذا أمرنا، فقال: ﴿فَلِلْمُؤْمِنِينَ يَعْصُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾..

الحكمة من تقديم غض البصر على حفظ الفرج:

يبدو أن تقديم غض البصر على حفظ الفرج تقديم دقيق جداً، بمعنى أن الإنسان لا يستطيع حفظ الفرج ما لم يغض البصر، فإن يأتي غض البصر قبل حفظ الفرج معنى ذلك أن غض البصر طريق إلى حفظ الفرج، إنك في الوردة إن نظرت إليها، وأدركت جمالها، وان فعلت بهذا الجمال، ولم تقطفها، ولم تعتد عليها، لا يحدث شيء إطلاقاً، ولست آثماً في شيء، إلا أنك في موضوع المرأة، النظر يؤدي إلى الانفعال، والانفعال يؤدي إلى السلوك، هذه معصية فيها قوة جذب، وكل معصية فيها قوة جذب حرم عليك مقتماتها.. ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الزَّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ يؤكّد هذا قول الله عز وجل:

ولَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَإِنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهُنَّ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ أَيَّاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (187)

سورة البقرة

الزنا خروج عن منهج الله واللواط خروج عن الفطرة:

لابد من أن تدع هامش أمان بينك وبين المحرمات المتعلقة بالنساء، ولكن هذا الإنسان الذي أودع الله فيه حب النساء، واقترب جريمة الزنا.. الزنا جريمة.. ماذا فعل هذا الإنسان؟ خرج عن منهج الله، لكنه لم يخرج عن فطرته، الفطرة أن الله أودع في الإنسان حب النساء، خرج عن منهج الله، خرج عن تنظيم الله عز وجل، عن أمره ونهيه، ولكن حينما اقترف هذه الجريمة لم يخرج عن فطرته، أما جريمة اللواط ففيها خروج عن الفطرة الإنسانية التي فطر الله الناس عليها، لأسباب كثيرة.. ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ﴾، الله عز وجل قال:

نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأَنْوَا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْنُمْ وَقَمِّنُمْ لِأَنْقُسْكُمْ وَانْقُوا اللَّهُ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ (223)

سورة البقرة

معنى الحرف مكان الزراعة، إنك تزرع هذا الماء فينبت ذلك الغلام، الذي يسميه بعض الأدباء: ثمرة القلب.. **﴿نَسَأُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾** إذاً العلاقة في موضع الحرف، ربنا عز وجل قال: **﴿فَاتَّوَا حَرَثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾** أى بمعنى كيف، بمعنى أين، بمعنى متى، علماء الأصول استفادوا من كلمة: **﴿نَسَأُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾** إذاً يجب أن يكون هذا الإitan في موضع الحرف لا في موضع آخر، إذاً كلمة أى بمعنى أين مرفوضة في هذه الآية لأدلة كثيرة، هؤلاء قوم لوطن.. **﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْثُونَ الرِّجَالَ﴾** موضع قذر، وطريق يؤدي إلى دمار النوع البشري، تعطيل المرأة، ماذا قالت بنت الحارث لابنتها حينما رفعت إلى زوجها؟ قالت: "يا بنיתי، إن الوصيّة لو تركت لفضل أديب تركت لذلك منك، ولكنها تذكرة للغافل ومعونة للعاقل، ولو أن المرأة استفت عن الزوج لغنى أبيها، أو لشدة حاجتها إليها لكنّي أغنى الناس عنه.." دققوا في قول هذه المرأة.. ولكن النساء للرجال **حُلْقُنْ وَلَهُنْ حُلْقُ الرِّجَالِ**". يوجد تصميم إلهي، يوجد صانع صمم هذا الكائن ليكون زوجة، أودع فيها رجاحة العاطفة، أودع فيها رقة الإحساس، أودع فيها طبيعة الانقياد، أودع فيها صفات نفسية كثيرة تؤهلها أن تكون زوجة صالحة، وأودع في جسمها أجهزة تؤهلها لأن تتجب الأولاد، ويبقى النسل مستمراً، وتحافظ البشرية على نوعها، وأودع فيها أنماطا سلوكيّة، وقدرات عقلية، وخصائص نفسية تؤهلها لأن تكون في أداء مهمتها، أو أن تؤدي مهمتها على أكمل وجه، وصمم الرجل ببناء عقلي، وبناء نفسي، وبناء اجتماعي، وبناء عضلي مادي يؤهلها ليحقق مهمتها في الحياة على أكمل وجه. هذه هي الفطرة، الزنا محظوظ، ولكن الذي يستغل بالرجال من دون النساء انحرف لا عن مبادئ الشريعة؛ بل انحرف عن مبادئ الفطرة أيضاً، سلك سبيلاً شاذًا، وهذا المرض العضال الذي يهدى البشرية من أقصاها إلى أقصاها، ما من ناقوس خطر يُدقّ الآن بأشد إيقاعاً على النفس من ناقوس خطر هذا المرض العضال الذي تعاني منه البلاد المتّحّلة، البلاد التي لا منهج لها، البلاد التي لا تؤمن بمنهج الله عز وجل.

تفسيرات الآية التالية:

إذاً: **﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْثُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ﴾**.. لهذه الآية تفسيران؛ الأول: أن هؤلاء القوم الشاذين حينما يأتون الرجال يقطعون النسل، هذه المرأة التي كرمها الله عز وجل، والتي صممها تصميمًا تكميلًا به الرجل، ويؤلف معها أسرة طيبة، تتجب الأولاد الأطهار، هذا التصميم الإلهي عظيل.. **﴿وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ﴾** قطعتم سبيل الزواج، قطعتم سبيل الله عز وجل.

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْواجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي
ذَلِكَ لِآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَكَبَّرُونَ (21)

سورة الروم

قطع هذا السبيل، قطع النسل، قطعت هذه العلاقة الطبيعية، ولا أكتتم أن هناك حقائق اجتماعية في بلاد الغرب يندى لها الجبين، وقد لا تصدق لهولها، الآن تجري عقود زواج في الكنائس في بلاد أمريكا وأوروبا زواج بين الشبان أنفسهم، أي هناك انحرافات لا يتصورها العقل، انحراف لا عن منهج الله بل انحراف عن أصل الفطرة.. **﴿أَنِّيْكُمْ لَتَأْثُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ﴾**.

هناك تفسير آخر لهذه الآية؛ وهو أن قوم لوط كان إذا مرّ بهم شباناً أخذوهم عنوةً وفعلوا بهم الفاحشة، وعدّوهم، هذا المعنى الآخر التاريخي.

جرائم قوم لوط:

﴿أَنِّيْكُمْ لَتَأْثُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْثُونَ فِي نَادِيْكُمُ الْمُنْكَر﴾..الآن الجريمة الأولى: هذا الانحراف السلوكي، والجريمة الثانية أن تُرْغِمَ إنساناً على أن تفعل به الفاحشة، هذه جريمة ثانية، والجريمة الثالثة أنكم تأتون هذه الجريمة المنكرة في ناديكم أمام بعضكم بعضاً، جرائم متراكبة، جريمة الشذوذ الأخلاقي، وجريمة الإكراه عليه، وجريمة إتيانه أمام الملا، إذاً هذا الذي يأتي هذه الجرائم الثلاثة بشكلٍ مخيف.

قرأت البارحة أن مليون طفل في أمريكا يُعْتَدَى عليهم من قبل آبائهم، في كتاب دراسة علمية، وتقارير أصولية من قبل آبائهم، إذاً هذه جريمة رابعة أو خامسة.

موقف النبي الله لوط من عمل قومه التنبية والتحذير:

﴿وَتَأْثُونَ فِي نَادِيْكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ﴾.. يبدو أن سيدنا لوط عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام نبههم، وحذّرهم، وأوعدهم، وخوّفهم، وأنذرهم، يبدو أنه خوّفهم بعذاب الله، **﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَتَنَا بِعَذَابَ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾**.. وهذا شأن العصاة، كلّما حذّرته من عقاب الله، كلّما حذّرته من عذاب الله، تقول له: يا أخي ربنا كبير، عنده أمراض مخيفة، عنده فقر شديد، عنده عذاب مهين، يوجد عذاب أليم، يوجد عذاب مدید، يوجد عذاب كبير، يوجد عذاب عظيم، أنت كُلُّكَ بيده، لو أن الكالية تعطلت، وتوقفت

لأصبحت الحياة جحيمًا، لو أن هذا الجهاز تعطل لأصبح الموت قريباً، لو، لو، كلما ذكرته
بعذاب الله استهزأ وقال: ائتنا بعذاب الله.

سمعت مَرَّةً أَنْ إِنْسَانًا يَعْمَلُ فِي حَقْلِ الْغَامِ اسْتَهِزَّ بِاللَّهِ، قَالَ: إِنْ كَانَ مُوْجُودًا
فَلَيَبْثُّ وَجُودَهُ، دَاسَ عَلَى لُعْنٍ مِنْ دُونِ أَنْ يَنْتَهِ فَانْفَجَرَ فِي وَجْهِهِ، وَفَقَدَ بَصَرَهُ، قَلَتْ: سَبَحَ
اللَّهُ! اللَّهُ سَبَحَهُ وَتَعَالَى أَعْطَاهُ فَرْصَةً لِيَتُوبَ، فَكُلُّمَا خَوَفَ هُؤُلَاءِ، وَأَنذَرَهُمْ، وَحَذَّرَهُمْ، وَبَيَّنَتْ
لَهُمْ قَالُوا: ﴿إَئِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾.

ما هو النذير؟

1 . القرآن:

لذلك يوم القيمة يقول ربنا عز وجل لهؤلاء الكفار المنحرفين:
وَهُمْ يَضْطَرِّبُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلُ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوْلَمْ نُعَمِّرُكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ
مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ (37)

سورة فاطر

يقول الإمام القرطبي في تفسيره: النذير هو القرآن، بيان إلهي، تحذير رباني،
تفصيل مشاهد يوم القيمة..

فَأَمَّا مَنْ أُتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمْ اقْرَءُوا كِتَابِهِ (19) إِنِّي ظَنَّتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَّةَ
(20) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَّةٍ (21) فِي جَنَّةٍ عَالِيَّةٍ (22) فُطُوفُهَا ذَانِيَّةٌ (23) كُلُّوا وَاشْرُبُوا
هَنِئًا بِمَا أَسْلَقْنَا فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَّةِ (24) وَأَمَّا مَنْ أُتِيَ كِتَابَهُ بِشَمَائِلِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُتِي
كِتَابِيَّةً (25) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَّةً (26) يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَّةَ (27) مَا أَغْنَى عَنِي مَالِيَّةُ
(28) هَلَّكَ عَنِي سُلْطَانِيَّةً (29)

سورة الحاقة

فالقرآن نذير ..

وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُونَ عَلَى يَدِيهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا (27)

سورة الفرقان

إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلْوَعًا (19) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَرُوعًا (20) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنْوِعًا (21) إِلَّا
الْمُصَلِّيَّنَ (22)

سورة المعارج

آيات كثيرة في "جزء عَمَّ" فيها إنذار وتحذير، فالقرآن نذير.

2 . النبي الكريم :

والنبي عليه الصلاة والسلام نذير.

3 . سن الأربعين :

و سن الأربعين نذير..

و وصيّناً إِلْهَسَانَ بِوَالدِّيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَنَاهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفَصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا
حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشْدَهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّيْ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ
وَالَّدِيْهِ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِلَيَّ تُبَثُّ إِلَيْكَ وَإِلَيَّ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (15)
سورة الأحقاف

سن النضج، والتعقل.. من بلغ الأربعين ولم يغلب خيره شره فليتجهز إلى النار..

4 . سن الستين:

وسن الستين نذير.

5 . الشيب:

والشيب أيضاً، يقول الله عز وجل في بعض أحاديثه القدسية: "عْبَدِي شَابٌ
شَعْرُكَ، وَانْحَنِي ظَهْرُكَ، وَضَعْفٌ بَصْرُكَ، فَاسْتَحِي مِنِي فَأَنَا أَسْتَحِي مِنْكَ" ..

6 . المصائب:

والمصائب نذير.

7 . موت الأقرباء :

وموت الأقرباء نذير، لذلك قال ربنا عز وجل: **«فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا**
أَتَئِنَا بِعَذَابَ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ» أما حينما يأتي العذاب فترى هؤلاء المتتطعين،

المتعجرفين، المتغطسين، المتكبرين، المُكابرِين، تراهم لا يلوون على شيء، تراهم خانعين، عليهم ذلة وقر من ضعفهم وخوفهم.

الحقائق تكشف بعد الموت:

يا أيها الإخوة الأكارم؛ القضية قضية وقت، هذه الحقائق لابد من أن تكشف عند الموت.

لَقَدْ كُنْتَ فِي غُفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ (22)

سورة ق

القضية قضية وقت، قضية أن تعرف الحقيقة قبل فوات الأوان، فإذا ما عرفها الإنسان الآن فلا بد من أن يعرفها، ولكن بعد فوات الأوان.

الجهل بقدرة الله سبب استعمال العذاب:

﴿أَئِنَّكُمْ لَثَاوُنَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْثُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾.. هذا الذي يقول: أتنا بعذاب الله ، هذا القلب بيده، ضربات القلب، انتظام ضربات القلب، تصريح الشرابين، عمل الرئتين، الكليتان، اتصال الأوامر من الدماغ إلى العضلات، لو تعطل هذا الاتصال لأصابه شلل، هذا الذي يقول: أتنا بعذاب الله هل عرف نفسه؟ لو عرف نفسه لعرف ربّه، لو عرفت أنك لا تستيقظ صباحاً إلا إذا كانت آلاف الأجهزة، والغدد، والأعضاء، والأنسجة تعمل بأدق انتظام، لو أن شيئاً واحداً اختل.. أعرف رجلاً أصابه مرض اسمه "فقر دم لا مصنع"، أي معامل كريات الدم الحمراء في نقي العظام توقفت عن صنع الكريات الحمراء، لماذا؟ لا أحد يدري، لا زال هذا المرض مجهولاً.

إنسان آخر له صحة جيدة جداً ذوى العود، قالوا: لأن طحاله بدل أن يأخذ كرينة الدم الميتة ليحللها إلى عناصرها، صار يأخذ الكرينة الحية والميتة، فصار معه فقر دم، ومات بهذا المرض، واسم هذا المرض: نشاط زائد في الطحال، شيء غريب.

إنسان آخر مات من الرُّعاف، قُلت في دمه الصفيحات الدموية، فيمكن أن ينزف دمه كله من الرُّعاف، ومات بهذا المرض.. فيا ترى هل يهتم الإنسان بالصفيحات الدموية أم بالأعصاب أم بالبنكرياس أم بالغدد أم بالطحال أم بالكبد أم بالنُّخامية أم بالدرقية أم بالكظر أم

بالكليتين؟ هذا الذي يقول: أئتنا بعذاب الله إنسان جاهل جهلاً مطبيقاً، لا يعرف الله، ولا يعرف نفسه، ولو عرف نفسه لعرف ربّه، لو عرف أن كل هذه الأجهزة تعمل بانتظام.

الإنسان يقف على قدمين لطيفتين، لولا جهاز أودعه الله في الأذن الداخلية جهاز التوازن، أنصاف أقواس، ثلاثة أقواس فيها سائل وفيها شعيرات، فإذا مال الإنسان يمنةً أو يسراً تتبّهت هذه الشعيرات، فشعر باختلال توازنه فعدل توازنه، لولا هذه القنوات قنوات التوازن للزمه أن يسير على عكازين دائماً، أو أن تكون أقدامه باتساع خفيف الجمل كي يكون استفاده مطمئناً أو مستقراً، هذا الذي يقول: أئتنا بعذاب الله هل يعرف من هو؟ لا تستيقظ صباحاً إلا وألاف الأجهزة، والخلايا، والأنسجة، والغدد الصم وغيرها تعمل بانتظام.

أعرف رجل جيداً - رحمة الله - خرج من معمله يبحث عن بيته فلم يجد بيته، بقي ساعةً من حي إلى حي، أصابه فقد ذاكرة جزئي، فما وصل إلى البيت إلا بعد أن ذهب إلى بيت ابنه وقاده ابنه إلى بيته، من أنت؟ هناك فقد ذاكرة، هناك فرط تذكر، دخل ابن على أبيه، وكان مسافراً، من أنت؟ ما عرفه، فلذلك هذا الذي يقول: أئتنا بعذاب الله إنسان جاهل، لا يعرف نفسه، لو عرف نفسه لعرف ربّه.

مائة وأربعون مليار خلية استنادية في الدماغ لم تُعرف وظيفتها بعد، أربعة عشر مليار خلية سمراء قشرية في الدماغ؛ مركز المحاكمة، مركز التصور، مركز التذكر، مركز السمع، مركز البصر، هذه العين، والله الذي لا إله إلا هو العين وحدها آية دالة على ع神性 الله، هذه الشبكية عشر طبقات، وفي هذه الطبقات العشرة مائة وثلاثون مليون عصبية ومخروط، كلها مرتبطة بأعصاب دقيقة جداً يجمعها العصب البصري الذي تعداده أربعين ألف عصب، تُجمّع بعصب واحد، هذه الشبكية بعصبياتها ومخاريطها تتأثر بالضوء، وينشأ من تأثيرها بالضوء تيار كهربائي متقاوت الشدة يُنقل إلى الدماغ فترى الصورة، لكن كيف ترى الصورة على حقيقتها؟ والله لا ندري، بحجمها الكبير؟ لا ندري، بألوانها الدقيقة؟ لا ندري، وفي العين عملية مطابقة معقدة جداً يعجز عن فهمها الأطباء، وهذا الذي يقول: ﴿أَئْتَنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ جاهل، كتلة جهل متحركة، ما الشلل؟ إنسان فجأة تجد أنه أصبح مشلولاً، شيء لا يتحمل، النقل تعطل، شريان صغير في المخ لو ضاق عن حجمه الحقيقي لنسي الإنسان كل معلوماته، يقول أحدهم: والله أنا كنت طيباً.. خير إن شاء الله.. قد ينسى الإنسان كل معلوماته، وكل خبراته، وكل تجاربه إذا تضيق شريان في الدماغ، إذا دماغ، وسمع، وبصر، وذاكرة، ومحاكمة، وتصور، وقلب.

القلب له مركز كهربائي مستقل عن الجسم، وهناك مركز ثالث احتياط، ومركز ثالث، ثالث عقد كهربائية في القلب من أجل أن تضمن له ضرباته المنتظمة، هذا الذي يقول: ﴿أَئْتَنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ جاهل، الأعصاب؛ الإنسان فيه شرائين يقدّر

طولها بمئة وخمسين كيلو متراً، وفي كل ميليمتر مكعب خمسة ملايين كريمة حمراء، وفي كل ثانية يموت اثنان ونصف مليون كريمة حمراء ويولد كذلك، فأنت هل ستهتم بنقى العظام أم بالطحال أم بماذا؟ إذاً الإنسان كلما زاد علمه زاد أدبه مع الله، كلما زاد علمه زادت خشته، كلما زاد علمه زاد تواضعه، كلما زاد علمه زاد خوفه، لذلك قال الإمام الشافعي رضي الله عنه: "كلما ازدلت علمًا ازدلت علمًا بجهلي"، وعلامة العالم التواضع، وعلامة الجهل التكبر، يقول الإمام الشافعي أيضاً: "ما ناقشني عالم إلا غلبي، وما ناقشني جاهل إلا غلبني"، لأنه جاهل.

الفاحشة فساد كبير:

«**قَالَ رَبُّ الْأَنْصَارِنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ**».. يبدو أن في هذا العمل فساداً كبيراً، فساد في العلاقات الاجتماعية، فساد في الزواج، هذا الطفل إذا فعلت به الفاحشة أصبح إنساناً آخر، أين عرته؟ أين كرامته؟ أين شرفه؟ أين طموحه؟ أين مكانته؟ أصبح شيئاً حقيراً قذراً دنيئاً، فهذا فساد كبير، فساد في الأطفال، فساد في الفاعلين، فساد في الزواج، فساد في كل علاقة، والنبي عليه الصلاة والسلام يقول: عن أبي هريرة رضي الله عنه:
إِيَّاكُمْ وَسُوءُ دَاتِ الْبَيْنِ، فَإِنَّهَا الْخَالِقَةُ.. وَقَوْلُهُ: الْخَالِقُ يَقُولُ: إِنَّهَا تَحْلُقُ الدِّينَ.

صحيح الترمذى : حسن

فساد علاقات اجتماعية، فساد علاقات أسرية، فساد زواج، فساد اتصال.

الظلم سبب وجيه لإهلاك قوم لوط:

«**وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرِيَّ قَالُوا إِنَّا مُهِلُّكُو أَهْلُ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ**».. أي ملائكة الله عز وجل هم رسوله هنا في هذه الآية، جاؤوا سيدنا إبراهيم ليبشروه بغلام عليم، وبأن امرأته سوف تلد، في أثناء هذه البشرارة.. «**قَالُوا إِنَّا مُهِلُّكُو أَهْلُ هَذِهِ الْقَرْيَةِ**» يبدو أن هناك مسافة قصيرة بين قرية سيدنا إبراهيم وقرية سيدنا لوط، تروي بعض الأخبار التاريخية أن قوم لوط كانوا على سواحل بحيرة لوط، وقد سميت بحيرة لوط باسمه أو البحر الميت، «**إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ**».. انظروا إلى التعليل، أي إهلاك القرى له سبب وجيه.

استبعاد إبراهيم عليه السلام أن يهلك الله لوط مع قومه:

«قالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا».. قال بعض المفسرين: إن إبراهيم عليه السلام لا يعقل أن يصدق، أو أن يعتقد أن عذاب الله عز وجل سيصيب قوم لوط مع لوط، ولكن أراد هذا النبي الكريم أن يدعو الله عز وجل بأن يمهلهم قليلاً لأن فيهم لوطاً، أو إكراماً للوط، إما أن يمهلهم، وإما إكراماً لهذا النبي الكريم، على كل حينما قال الله عز وجل:

وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبُهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبُهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (33)

سورة الأنفال

هذه ميزة لأمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ما دامت محبة هذا النبي في قلوبنا، وما دامت سنته في سلوكنا، فكان الله سبحانه وتعالى طماننا أنه لن يعذبنا، والمعنى الذي يصح مع وجوده صلى الله عليه وسلم فيما بين قومه، ما دام النبي بين ظهرانيهم، أو ما دامت سنته مطبة في سلوكهم، أو محبتهم قائمة في قلوبهم فلن يعذبوا.. «وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبُهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ» إذا: «قالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا» أي لعلهم يهتدون، أو إكراماً له.

الله عز وجل عدله مطلق وحكمته مطلقة:

«قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا».. الله عز وجل عدله مطلق، حكمته مطلقة، خبرته قديمة، علمه قديم، الإنسان كما نقول: لو أصدر مئة حكم عادل وحكمًا ظالماً يسمى عند الناس عادلاً، لكن حسنة الله عز وجل هو المطلق، أي أحکامه كلها عادلة، تصرفاته كلها حكيمة، قلت لكم في الخطبة اليوم: كل شيء وقع أراده الله، كل ما أراده الله وقع، إرادته متعلقة بالحكمة المطلقة، وحكمته متعلقة بالخير المطلق.

نجاة لوط ومن آمن به وتعذيب من كفر:

قالوا: «نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنَنْجِيَهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتُهُ كَائِنٌ مِنَ الْغَابِرِينَ».. أي أصابها غبار قومها، أحبت قومها وأقررتهم على عملهم، لذلك من غاب عن معصيةٍ فرضي بها كان كمن شهدتها، ومن شهد معصيةً فأنكرها كان كمن غاب عنها، إذا رأيت معصيةً لا تقبل بها، انكرها بقلبك، وإلا تشارك مع صاحبها في الإثم، يكفي أن تقول لإنسان كسب مالاً حراماً:

دَبَرَ حَالَهُ، قَالَ لَهُ: مَا شَاءَ اللَّهُ عَلَيْكُ، وَعَلَى هَذَا الْذِكَاءِ، إِلَى أَينَ أَنْتَ مَاشٍ؟ أَنْتَ بِهَذَا شَارَكْتَهُ بِالْإِثْمِ، هَذَا الْكَسْبُ الْحَرَامُ إِذَا أَثْبَتَ عَلَى صَاحِبِهِ، أَوْ بَارَكْتَ لَهُ، أَوْ أَفْرَرْتَهُ عَلَى عَمَلِهِ فَقَدْ شَارَكْتَهُ فِي الْإِثْمِ.. ﴿إِلَّا امْرَأَةٌ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾.. أَحَبَّتْ قَوْمَهَا، وَأَفْرَرَتْهُمْ عَلَى مَعْصِيَتِهِمْ، وَخَانَتْ زَوْجَهَا، لَا خِيَانَةٌ فِرَاشٌ وَلَكِنْ خِيَانَةٌ دُعْوَةٌ، لِذَلِكَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا اِمْرَأَةً نُوحٍ وَامْرَأَةً لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاَخِلِينَ (10)

سورة التحرير

مجيء الملائكة إلى سيدنا لوط في أحسن صورة بشري:

﴿وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسْلَنَا لُوطًا سِيَءَ بِهِمْ﴾.. اللَّهُ عَزَّ وَجَلَ جَعَلَ هُؤُلَاءِ الْمَلَائِكَةَ حَسَنَيِ الْوِجْهَ، شَبَابٌ فِي مَقْبِلٍ عَمَرْهُمْ، هَكُذا جَعَلَهُمْ بِهَذِهِ الصُّورَةِ، وَأَسْبَغَ عَلَيْهِمْ جَمَالًا أَخَادًا، فَلَمَّا جَاءُوهُمْ سِيَدُنَا لُوطُ ضَاقَ بِهِمْ، خَافَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَعْتَدِيَ قَوْمُهُمْ عَلَيْهِمْ.. ﴿سِيَءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ دُرُّعًا وَقَالُوا لَا تَحْفَ وَلَا تَحْرُنْ إِنَّا مُنْجُوكُ وَأَهْلُكُ إِلَّا امْرَأَتُكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (33) إِنَّا مُنْزَلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُدُونَ (34) وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (35)﴾.. لِذَلِكَ السَّعِيدُ مِنْ اتَّعَظَ بِغَيْرِهِ، وَالشَّقِيقُ مِنْ اتَّعَظَ بِنَفْسِهِ، رَبُّنَا عَزَّ وَجَلَ جَعَلَ قَوْمَ لُوطَ عِبْرَةً لِلإِنْسَانِيَّةِ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَالْحَقِيقَةُ إِمَّا عَلَى مَسْتَوِيِ جَمَاعِيِّ، أَوْ عَلَى مَسْتَوِيِ فَرْدِيِّ، فَكُلُّ انْحِرافٍ فِيهِ ضَرِبَةٌ قَاصِمَةٌ..

إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ (12)

سورة البروج

إن على المستوى الفردي أو على المستوى الجماعي.

والحمد لله رب العالمين